الليلة الأخيرة

THE LAST NIGHT

خالد ماضي

ماستر

الليلة الأخـيرة

قصص..

خالد عبد الرؤوف ماضى

تصميم الغلاف

بيشـوي ظريف

الجمع والإخراج

التجهيزات الفنية بدار ماستر للنشر

رقم الإيداع/ ٢٠١٩/٥٢٤٢م

ISBN: 978-977-85459-4-4

13,5×19.5 CM

جميع حقوق الطبع محفوظة للناشر

ماســـتر ©

٢٠١٩م

Email: master.publisher@hotmail.com
Facebook: facebook.com/Master.PH
Smashwords: smashwords.com/master.ph
Tel & Whatsapp/ 0128 730 3637

إهـــــداء

أهدي كلماتي إلى شموع اهتديت بضوئها.

أبي؛ تعلمت منك الكثير، رحمك الله رحمة واسعة.

أمي؛ لا يزال فيض حنانك يغمرنا، متعك الله بالصحة والعافية.

زوجتي وأولادي؛ أسماء، محمد، عبد الرؤوف.

إخوتي جميعا أولادا وبناتا؛ جمعتنا الحياة على أقل القليل لكنها كانت حياة هنيئة.

أصدقائي؛ صداقتكم أنارت لي الطريق.

القاصة التونسية/ بسمة الشوالى .

وإلى

أستاذي/ محمد عبد المطلب/ رسالة وفاء.

عـــــوْدة

جمُد مكانه للحظة.. حيث كانت عيناه تتأملها، وتعيد التأمل لترتوى روحه العطشى بعد طول بعْد، ثم بخفّة ملفتة ، ربما نبعتْ من اللاشعور، أسند الفأس جانبا. تلاعب النسيم بأغصانها، اهتزت أوراقها فرحا. فتح ذراعيه القويّن كطائر أسطوري يحلق في السماوات. بجسد متعب هدّه الشوق وقلب يخفي انكسارات و أحزاناً احتضن الشجرة، قبلها، أسند رأسه إليها كطفل يطمع من أمه أن تغمره بحنانها.

عندما استوي جالسا مسندا ظهره لجذعها، احتوت عيناه حقلاً كبيراً يموج بالخضرة، لم يعد يملكه الآن لكنه لم يخسرْ ذكريات الطفولة إنها تتسارع إلى رأسه.. الضحكات البريئة المبعثرة في الفضاء، منافسة الطيور شقاوتها، الجري بين سنابل القمح .. سرعان ما ارتد إليه طرفه ندماً وحسرة عندما تناهى لأذنيه صوت ذلك العجوز:

.« الأرض لا تباع .. أنت نفسك عزيزة .. المدينة تستعبد الناس .. من يذهب اليها لا يعود.»

يتنفس الهواء صدق تلك الكلمات؛ لكنه مجبرُ يحصد ثمرة تجاهلها. حتى موظف الجمعية الزراعية الذي كان من أعز

أصدقائه أولاه ظهره.

يتذكر صعود قدميه للقطار، لأول مرة، اعترت جسده رعشة وانتابه إحساس مبهم

بالخوف من المجهول.. عندما لفظته المحطة الأخيرة شعر بأنه ذرة رمل وسط صحراء مترامية. ووجد نفسه يجلس القرفصاء، وسط حشد من الناس، ينضح منهم العرق قد تجمعوا بميدان السوق، ينتظرون أن يبيعوا جهدهم لمن يدفع لهم. كان خياله طوال جلوسه محلقا في فضاء بلدته الريفية التي هجرها كم يفتقدها.. هناك لا مجال أن تكون وحدك؛ في فرحْ أو حزنْ، إنْ كلّت يدك تأتيك مئات الأيدي، فالحب فقط يسري بين أهلها.

رمقت عيناه ثمار التوتْ بأعلى الشجرة.. كم هو مشتاق إليها، كانت الشمس ترسل أشعة الغروب الذهبية لتنفذ من بين الغيوم متخللة ثنايا الأوراق. لم تمر لحظة حتى امتدت يداه لبعضها؛ رقص قلبه فرحاً، وكان لطعمها مذاقْ خاص في فمه.

في الطريق .. توجد خيارات أخرى.!

بالكادْ وجدت كرسياً أجلس عليه في إحدى عربات الدرجة الثالثة، حين توقف القطار بإحْدى محطّاته. جلس المسافرين متوسدين الكراسي الخشبية. يبعثرون نظراتهم التائهة في لامبالاة غارقين فى الصمتْ. أهملت الرجل الجالس أمامي والذي يدس وجهه في الجريدة الصباحية دون أن يبادلني كلمة. اقتحم العربة صبي أثار الإنتباه. كان ذا وجه حيوى مفعم بالطفولة والبراءة الحلوة، يحشر جسمه الصغير في جلباب مهترىءْ، يثقله بصندوق خشبي معلق إلى كتفه. أخذ ينادى:

- « ألمّع، تلمّع يابيه».

أشار إليه أحد الركاب فاستجاب فى سرعة فائقة، بمهارة أخذ الحذاء وبدأ عمله كفنان ماهر يرسم لوحته بإتقانْ. دسّ الرجل في يد الصغير قطعة نقودْ، أخذها وحمل صندوق تعاسته ومضى.. لكنه لم يرفع صوته بالنداء مرة اخرى؛ لقد وقعت عيناه على ذلك الولد الذى يماثله في السن الجالس بجوار أمّه كانت يداها الحانيتنن تمررهما على رأسه وتعيد على أذنيه حكاياتها الحلوة فاستكان لها وبجانبه حقيبته المدرسية. ارتسم على وجهه الحزنْ لكن لم يلبث أن تلاشى سريعاً حين عثر على أترابه. كانوا

جميعاً يحملون صناديقهم على أكتافهمْ. لكنهم تناسوا عملهم، وغرقوا جميعاً في لحظات مرح ولعب طفولي.

الرجل الجالس أمامى والذي كان يدس وجهه فى الجريدة، دون أن يبادلني كلمة واحدة؛ نحّى الجريدة جانبا، تأمل الأطفال وهم يرقصون حاملين أدواتهم.. فوجئت بيده تشير إليهمْ وعيناه قد اكتست بمسحة حزنْ ويقول لي.

.قل لي بربّك، من الجاني على تلك البراءة.؟

جـــــدار

ضمّنا المقهى الأنيقْ .. نجلس متحلقين، مقبلين على الحياة، تجري بعروقنا حيوية الشباب. نتلاقف عناوين الصحف البراقة؛ نشيّد جدارا من الأمنيات الوردية السعيدة، ونفتح نوافذنا للريح علّها تأتي بآمال جديدة. « البطالة تـلاشت. « قضي تماما على الفقر. « « تبخرت طوابير الخبز.» «بناء آلاف الوحدات السكنية.» « سيعيش السكان في رغد. «

الجدار الذي نبنيه يعلو.. يعلو..

كانت النارجيلة بيننا تتضاحك مقرقرة، ننفث دخانها فيتقاطع في دوائر ثم لا يلبث أن يتلاشى تاركاً متعةً وخدْرا لمشاعرنا.. لم يعكر صفونا سواه؛ حين ألقاه الشارع المزدحم المتلاطم واقتحم المكان. ارتمى على أقرب مقعد، نظر إلينا وقال :

. كنت آخر الواقفين بطابور الخبز ياسادة ومد يديه، كانتا خاليتي الوفاض. اندهشنا وتركنا الجرائد جانبا..ارتفع صوت الصخب والضجيج، كانت ساعة الحائط تشير إلى العاشرة صباحا. نرمق قلقين محطة القطارات الواقعة أمامنا. خرجت أصوات من بيننا :

.سنكون في قبضة الفراغ الوحشية إن لم نجد العمل.

. صديق عزيز يبدو أنه بعيد المنال.

. ما أجمل العثور عليه.!

يمرّ شحاذ بالي الثياب في عفوية يمدّ يده للناس ويجرجر براءة أطفاله وراءه . أبعدناه وأطفاله خوفا عليه من جدارنا الآخذ حينها في التصدع وأسرعنا نلحق بالقطار، ولم نكد نخطو حتى انهار الجدار علينا.

الشيء المستحيل

راقب القط الصغير، وهو جالس على ذيله فى إعجاب أمّه وهى تلعبُ بالفأر.. قاصدة أن تعلمه الطريقة التى يصطاد بها الفئران. اتجهت إليه وتساءلت عيناها خضراء اللون، عما إذا كان قد فهم فأومأ برأسه إيجاباً . وهنا قدمته له حيّا قائلة :

. ليبقى معك يومين أو ثلاثة تدرب عليه لتزداد مهارة لأن الفئران غذاؤنا نحن القطط وبدونها نموت جوعا .

قالت ذلك وتركته لعمله الجديد .

مضى يومان وبدلا من أن يتدرب القط على كيفية صيد الفأر وقتله لعبا معاً.! جرى القط خلف الفأر، وأحيانا الفأر هو الذى جرى خلف القط. !

راقبت الأم المشهد فى دهشة.. وبدلا من أن يأكل الفأر، أصبح لا يصبر على فراقه واللعب معه ، تبادلا الضحكات والمشاعر فتحول العدوان إلى سلام بينهما والكره الى محبة .

فى اليوم الثالث تساءلت الأم :

.لم لم تأكله.. ؟

رفع لها القط الصغير صحيفة بها بنود معاهدة سلام بين القطط والفئران قائلا:

أمي؛ الحب لا يعترف بالمستحيل.

هنا نظرت الأم الى الصحيفة في لامبالاة وأعرضت عن صغيرها، قائلة

وكأنها تحدث نفسها :

أيّ حب.. وأي سلام ؟ وأكلهم والقضاء عليهم ضمان , وجودنا على قيد الحياة.

فيض ذكرى

.١.

يعيش بداخلي، يملأ على نفسي ، يحتل منطقة الإعجاب والفخر. كان إذا ما أجدبت صحارى أيامى يكون سحابةً هتوناً، تروى عزيمتي فأصدّ عنّي شدائد الزمن وأشعر بأني محاط بقلعة حصينة شاهقة ، يحميها فارس بجواد وسيف مشهر لها أبراج بألوان الطيف، عندها كنت أنام قرير العين وتبسم لي الديكة تلك التى تستيقظْ عند الفجر.

نادانى يوما:

ـ لم لا تصلى ؟

تدلت يداى ورفعت عينىّ من على الأرض مرتدياً لباس الصمت؛ كلمني بأن : الصلاة تقضى المصالح ... تجعل الإنسان يسافر فى بحر من السعادة. ثم بتلقائية انبرت أصابعه تلفّ عمامته وهويخرج من باب البيت. دار الزمان دورته وبدأت الأجنة فى سنابل القمح تشب عن الطوق ...رأيته هناك فى الحقول يعزق الأرض، يجول فيها يد العمارة. أعطاني فأسا وقال :

ـ خوض غمار التجربة يصنع الرجال.

لكن لم يمر إلا القليل حتى نضح جسمي بالعرق، تلاحقت الأنفاس وكاد القلب يقفز من ضيق الصدر، فأشار إلى نخلة هناك:

.لا بأس في الظل تأخذ الروح البراح.

لكني لن أنسى أنه فى شيء من الحرص يمتزج بالنصح صمم على أن يضعنى على بداية طريق لعالم يعرف قيمته؛ ففي مساء اجتماع الأسرة وقد لف الأفق حنان أبوى غامر قدم لي هدية الأوراق والأقلام.وفى الصباح كانت يدى فى يده حيث كتاب سيدنا، من يومها عرفت مذاقا للفرح.

.٢.

يفصل الآن بيننا الزمان والمكان. باعدت بيني وبينه السنون، حيث أصبح في عالم أكثر سعادة وهدوءاً واطمئناناً. فذات مرة استيقظت من النوم مذعورا لأمر على أبراج قلعتي فلم أجدها !!..

وللمرة الأولى وجدتني في العراء، يجرفني طوفان الخوف. جريت بكل قوة لأنظر الفارس الحارس ناديته.. نظر إلى ولم يجبني. أغمد سيفه وهناك في المغيب اختفى كالبرق الخاطف، تركني وحدي أغالب أمواج الألم والحسرة .غير أنى أصبحت أصلى، أمسك بالفأس، أقرأ، أكتب، وكل يوم أتذكره.. فتنهمر منى دموع العرفان.

صحبة

.اقتربي مني، اقتربي أكثر.. لم لانكون أصدقاء.؟

أصاحب تلك الريشة، أو هي تصاحبني، منذ وعيت. البعض يقول لي بأن هذه الريشة الملونة هي نفسكْ، ألا تدركْ. قلت :

- ربما.

غير أني لم أجزم بذلك. المهم فى الأمر أننا لا نستطيع أن نتخلي عن بعضنا في فرح أو حزن. لقد حفظت همساتها عن ظهر قلب. هى خفيفة لم أعرف لها وزناً ذات مزاج متقلب، فتارة تهمس بكل جميل وأفعال طيبة، تحلق بي فى السماوات، لأرى أشياء نورانية تعيد الإطمئنان لقلبى. وتارة غير ذلك، حيث تهوي بى الى الأرض، فتغيم روحى ولا ترى الشمس. لدرجة أننى أصبت بحيرة من أمري، وفكرت مرارا في انهاء هذه الصحبة فيتلاشى عزمي .

بريشتي ألوان شتى، إنها تجمع كل ألوان الطيف. همست لي يوما :

. أنت لم تحبني قط؛ لو أحببتني لاسترحت، وقبلتنى على كل الأحوال. فهذا هو طبع الحب.

ما يثير عجبي تلك الريح التى تغافلنا وتلعب بنا كما تشاء كأنها الدنيا تحملنا إلى أى مكان تريد.عندما انظر لريشتي فى لحظات ضعفها.. كم هى مسكينة ولا نملك من أمرنا شيئا.

في لحظة من لحظات الصفاء همسْت:
. اقتربي مني، اقتربي أكثر.. لم لانكون أصدقاء.؟
فجأة عصفت بنا الريح. ألقتنا بعيدا جداً وارتطمنا بالأرض.
نظرت إليها مشفقاً ، ربّت عليها بحنانْ وقلتْ :
.لا تحزني يكفينا أننا معاً.

سيّدنا

كنت أبحث حائراً بين شواهد القبور عن قبر سيْدنا. عندما وجدت نفسي أقف أمام الشاهدْ، تحركت شفتاي أتلو ما تيسر من القرآن.. انسابت إلي ذاكرتي صورته وجلسته التى لم تتغير أبدا وجهه المملوء هدوءا وبشاشة زاد عليه تشربه ببياض ممزوج بالحمرة و طربوشه الأحمر اللون .. منشته التى كان يمسكها بأطراف أصابعه اليمنى كان يغيب ويهش عن وجهه الذباب المتطفل وربما الملل عن نفسه إذا طال مكوثه بالكتاب. كنا نجلس على هذه الحصر المصنوعة من الخوص والتى كانت تؤذى أجسامنا الغضة، وقد أسندنا ظهورنا لحوائط قديمة مبنية بالطوب اللبن بينما تمسك أيدينا الصغيرة بالكراسات والمصاحف.

ومن داخل المكتب كانت أصواتنا والتى لم يتجاوز عمرها بضع سنين تخرج مدوية بآيات القرآن. لطالما تخيلت بأنها لاتذهب بعيدا.. بل تلف القرية وتحفظها من كل شريمكن أن يلم بها. كان جسمى يتحرك حركة شبه منتظمة وأنا أقرأ بمصحفى بينما عيناى تختلسان النظر الى سيدنا ثم الى العصا بيده. لا بأس . هو الآن منهمك فى إفطاره الذى يأتيه كل صباح. عادة مايكون

الشاى وقد أضيف اليه اللبن وعدة « فصوص من العيش « كانت يد سيدنا مشغولة بتوصيلها بعد غمسها بالشاى الى فمه .

كنت أنتهز الفرصة أنا وأتبادل اللعب مع رفقائى .. لكن سرعان ما يأتى صوته محذرا

ملوحا بعصاه والتى يعرفها رأسى جيدا :

« هاااه» كفاية لعب ياولدى احفظلك آيتين .

فيعود جسمى ينتظم حركته وتندس عيناى فى مصحفى ويعلوا صوتى بالقراءة فينخفض رويدا رويدا غضب سيدنا علي أتذكر هذا اليوم حين قلت له :

إنى مصاب بألم فى رأسى ياسيدنا ولا أستطيع الحفظ .

فى حنو وضع يده اليمنى على رأسي وأخذ يتلوا المعوذتين وبعض الآيات وبعد فراغه سألني كيف أنت الآن :

بخير يا سيدنا .

إذن اذهب وأكمل .

استطعت أن أتنقل بين صفوف الدروس على السبورة الى أن جلست أمام سيدنا وقد حفظت «أجزاء من القرآن «.

اقتربت خطوات من قبره غلبتني دموعى فتساقطت على الرمال تحتي جلست واضعا كلتا يداى على رأسى ووجدتني أهمس :

- سيدنا كيف أنت ؟

-غيبتك أثرت فينا وشوقى اليك زاد.

انبعث بداخلي صوته الجاد

- إنه المقدروالمكتوب ياولدى .

لما لاتعود إلينا يا سيدنا نحن فى أشد الحاجة إليك .. والكتاب

خالى بدونك يعلوه التراب غارق فى الصمت لم تعد ألآيات تلف القرية لتحفظها ؟

- ياولدى المشيئة لا تسمح.

- اتلوا ما حفظت من القرآن.

انتظم جسمى الحركة وانا أسمع سيدنا.عندما انتهيت جائني صوته

ـ أحسنت الآن تمر على طريق من نور ياولدى ..

وأخذ صدى صوته يبتعد ... ويبتعد

انتصبت واقفا، مسحت بكفي دموعي.

وبخطوات مثقلة غادرت الشمس بأشعتها الذهبية تودّع للغروب.

دويّ السّقوطْ

يفتقدْ سكانْ القرية عربة الكسح الآن.. عادةً ماتكون نشطة منذ بدء يوم عملها. وعائها الخلفي يعبّأ بحمولته ما لا يقل عن اثنتي عشرة مرة. أثر ذلك بدا واضحا على سائقها الخمسيني البدين. كان خلف عجلة القيادة ينزّ عرقا ويترجرج جسده كقربة تنبعج هنا وهناك، تكشف ابتسامته عن أسنان صفراء. قد نما جيب نقوده حتى انه كان يتحسسه بيده بين لحظة وأخرى.

يستمع لأغنية أطربته.

- عن زمن جميل مضى .

أحبة أنقياء القلب عاشوا هنا.

احتضنتهم أشجار نخيل

وماء عذب رقراق ...

وتنتهي الأغنية بـ تعالى ياحبيبي لترى ما جرى..

كل يوم تمر العربة على ربع سكان القرية تكسح آبار الصرف ولا تذهب بما تحمله إلى الصحراء وإنما تفرغه بترعة الري. فتتحول المياه إلى اللون الأسود تفوح منها رائحة عفنة ويعلوها رغو يفور كقدرٍ تحتها جمر.

كان يظن أنه عوض سنوات الغربة فى الخليج بشرائه تلك

العربة. يتذكر حساده وكمية الشكاوى لكن كل ذلك يتلاشى حين يتحسس جيبه المنتفخ.

ببطء، يعود وعيه اليه. يستفيق من حلم يقظته. لقد كشّر المرض الخبيث عن أنيابه وكثير من أهل قريته تجرى بهم الأسرّة هنا وهناك فى ممرات المشفى، وكان هو على سرير مثلهم.

اللـقـيّة

ساعة عمله، تبدأ مع استيقاظ الزرازير، وطائر القمرى بصوته المطبوع داخل النفوس. هاهو نور الصباح قد وسع الحقول، مهيئا المكان لشروق جديد للشمس، حتى الطريق الترابي الممتد قد ألفه واعتاد مروره عليه، حاملا فأسه رافعا رأسه فى جدْ. فإذا وصل الترعة من القرية عرّج أقصى اليمين ليصل حيث تستقبله مزروعات الحقل، فرحة مستبشرة.

يسيح بناظريه فى الأفق.. لا زالت ترن فى أذنيه مقولة أحد المسنين والذي انحنى ظهره من تجارب الأيام :

. « ياولدى الزرع عيعرف صاحبه اغدوا وروح على أرضك زرعك يفرح بيك»

لذا كثيرا ما جلس وسط أرضه يناجيها .. ناظرا حوله مخافة ان يظن به الظنون.

ربما أولاده لم يأخذوا من العناية ما أخذته الأرض فقد رواها بعرقه وجهده وسنين عمره حتى وجدته فى أواخر أيامه رجلا إبيض شعر رأسه ومع ذلك لايزال بخيره غاديا رائحا. إلى أن حدث شيء لم يكن فى الحسبان.

- « معاهم فلوس تغنيهم لولد الولد وزيادة «

هكذا ألقى مزين قريتنا عبارته تلك جازماً بها وبكل ثقة بعد أن حلق شعر رأس زبونه بآلته اليدوية فلم يبق بها شعرة . وقام بصب الإشاعة المتداولة فى القرية منذ ثلاثة أجيال فى أذنيه على عادة الحلاقين فى تسلية الزبائن بالأخبار والإشاعات دون فحص بل جلبا للمتعة أو عملا بقول « خلى لسانك حلو تكسب. « واستطرد : « جدهم الحاج محمود كان راجل طيب من الفجرية على غيطه الكائن تحت الدير القبلى وفى يوم من الأيام وهو عيحرت فى الأرض، بمحراثه البلدى ظهر له ثور مرصود مخفش منه، وقام ضربه بالرخو، تفتحت اللقية وسط أرضه بلاليس بلاليس مليانة بالدهب، الحاج محمود طلع ناصح كتم على الخبر وغطى البركة،وكل ما يعدى واحد من ناس البلد : « نساعدوا ياحاج محمود» يرد فورا :

- « لا خلصت مشكرين.»

ولما جن الليل حوّل اللقية على جمال.»

يبدوا أن الحلاق لمح نبرة شك فى زبونه فسارع الى تأكيد مقولته الأولى :

- «أى والله زى ما قلتلك معاهم فلوس تغنيهم لولد الولد.. والله .»

لم يكن حلاق القرية الوحيد الذى نقل الحادثة . آسف . الإشاعة إلى زبائنه.

بل تناقلتها نسوة القرية ولم تسلم من ألسنتهن بل زيد فيها وأضفْن إليها ما يجعلها أكثر إثارة واهتماما من آذان جارتهن أو أزواجهن وقلن :

بأن رصد اللقية التى وجدها الحاج محمود وسط أرضه ليست ثوراً بل جنيا ماردً ضخماً أراد أن يبتلع الشيخ المسن لكن عدم خوف الحاج محمود وضربه له بالرخو الذى يهش به على بقراته هو الذى قتل الجنى وأخرج الذهب.

وهكذا تناولت الألسن « لقية الحاج محمود» كل على هواه وتفسيره وعلى أية حال وجدت الإشاعة قبولا وموافقة من مشعوذي قريتنا وأكدو:

بأن حارس اللقية او الرصد ثوْر وليس جنيا ولهم فى ذلك تفسيرات عديدة يطول شرحها ..

أخيرا وصلت الإشاعة إلينا نحن المتعلمين بالقرية كنّا بالكاد بالصف الثالث الثانوى واشتبكنا فى الحوار والأخذ والرد بين منكرٌ تماماً هذه الحادثة ...

ومؤيد لها :

ـ« لم لا ؟ الفراعنة كانوا علماء فى فن السحر وخبوا كنوزهم ورصدوها خوفا عليها من الضياع ليه تستبعدوا شيء من هذا يحدث.؟»

ـ « يا جماعة نحن أناس متعلمين ودارسين للمنطق هناك سؤال نريد له إجابة. لو أن الحاج محمود لم يعتن بأرضه، ولم يروها بعرقه وسنين عمره ولم يغد ولم يرح على زرعه، ترى هل من الممكن أن تفتح له لقية مرصودة من الذهب وسطها.؟

طيور لا تحلق!

فضّل أن يهدأ ويستكين داخل أسواره. يلملم أحلامه المبعثرة، خارج حدود الزمن ويعيد ترتيب كل المتناقضات. ينكمش، يتكور على ذاته داخل خيمة اللجوء. يحاول بشتى الطرق أن يجمع شتات أفكاره وكبرياءه المراق أمام المارة من كل حدب وصوب، زوجته وأطفاله توزع عليهم أطباق الشفقة. غريب عن الوطن أو الوطن عنه غريب. يجاهد لجمع كل ذلك تحت نقطة من ضوء عقله، فلا يقبض بيده على شيء.

تردّد نداء عبر مكبّر الصوت.. في حركة شبه آلية ناولته زوجته أدوات الطعام الفارغة. تشاركه عمق الجرح وتعرف أيضا أن الدنيا بأسرها لا تقوى على احتماله لكنهما يلوذان بالكتمان، وتولي الأبناء من جانبها بالرعاية. بادرته قائلة: «يجب أن نتأقلم على الوضع من أجل هؤلاء.»

فخرج كباقي أفراد المخيم لينتظم في صفّ طويل للحصول على حاجاتهم الضرورية

من الطعام. ولما حان دوره امتدت الأيدي إليه لتملأ فراغ أطباقه، نظر مليا.. ثم اجترّ خطاه ليمرّر على شريط عقله الحكاية من أوّلها، إنها نفس الأيدى التي ما فتئت تبشّر بالكرامة للإنسان

وحقوقه، هى نفسها التي قصفت مدينته بأحدث الأسلحة. أجْبر وأهله على الهجرة ليقبع تحت جدران التشرد في البلاد، دفين المآسي العابرة للحدود..

تتعدد الخيانات تحت رايات الإنسانية الكاذبة فتعقد الصفقات، تشتعل الحروب، تسرق الثروات، تقسم الدول، يعبر البحر طلبا للنجاة فينقذونه وأطفاله من الغرق ويوزعون عليهم قطع الشكولاته، ثمّ يكون نصيبه خيمة في الغربة..!

أخيرا وصل إلى زوجته بما منوا عليه من طعام، ناولها إيّاه. حين مسّت يده يدها انبعث من قلبيهما حنين جارف للمنزل الذى ضمهما معا في الأوقات السعيدة المسروقة من زمن العولمة. نظرت الى وجهه، وجدته رغم كل الإنكسارات يشرق بأمل لا يستطيع العالم كله أن يطفئه. ردد مبتسما و مبددا الصمت:

. أطعمهم وتعالي بهم كي نحكي لهم عن معنى أن ينزل الكبار للعب بالميدان .. عن وطننا والبيت.

شـكوى

• هو

أزال بيديه أثر النعاس، أحسّ بأنّ مشاعره متجمدة، لكن وجه الصبح أسفر عن سماء مملوءة بالغيم، نسيم صباحى بارد هب معلنا بداية الشتاء، يترك لجهازه التنفسى العنان شهيقا وزفيرا، سرت موجة انتعاش فى جميع خلايا جسده لكن بؤرة عينيه أبصرت ذلك الإصيص. أطرق مأخوذا بذكريات وسويعات حلوة أنفقاها معا وتلك الأزهار شاهدة بالتأكيد تذكر الآن الليالى التى كان يناغيان فيها القمر وقد حط ضوئه بالأفق.ما أدهشه حقا أن تلك الأزهار آخذه فى الذبول واقترب من أطراف أوراقها التيبس اتهم نفسه بالإهمال لأنه اتخذ على نفسه عهدا ان يعتنى بهما جميعا كما قال لها

- أنت والأزهار محل عنايتى

• هى

أرادت ان تترك ذلك لذكائه لكنه لم يفطن ، فلم يعد لديه وقت يتحدث معها وان فعل يبتر الحديث ويغادر متعجلا تاركا كلمتين فقط وراءه :

- لدى عمل

هل تعتبر ذلك نوع من المكابرة .شيء جائز. فهو قد ترك نفسه لتلك الساقية تدور به الى ما لانهاية.. وجعلها مجرد نقطة أبعدها تماما عن مداره فمتى يعودان لسابق عهدهما .

لما لا تترك ماتعانيه لمشاعره عندما تجف من العطش؛ فتحتاج بعضا من ماء الحب كى تروى هاهى تنظره وقد استيقظ باكرا، يفتح الشرفة ألا يتذكر من كان معه يستقبل نسيم الصباح فينادى عليها؟ إنه يتأمل الأزهار مطرقا. ألا يوحى له بشيء ذبولها..؟. لكن لم التساؤل لابد أنها ستبوح له بكل شيء و ستسلمه رسالتها.

الفئران لا تسرق!

قال لى كمون الأعور. العامل فى المخبز البلدي. والذى جمعتنى به صداقة قهوة اعتدت الجلوس عليها بعد أن شدّ نفساً عميقاً جعل النارجيلة تهتز وتقرقر نافثا الدخان من فمه ومنخاريه الغليظين :

.« والله يا سيدنا الأفندى أنا احترت. قلت لنفسى أكيد الفرن دى مسكونة بالعفاريت ..»

كل يوم المعلم ضبش ينبه علينا فى حسم لا يقبل الجدل :

ـ « اخبزو عشرة أجولة والباقى خبوه فى الغرفة الجانبية وآخر النهار روحو.»

فى الصباح وجدتنى وسط طابور طويل عريض يعلوه صخب وضجيج ، تزاحم وتنافر ، للوهلة الأولى يمكن ألايكون له بداية أو نهاية و بصعوبة بالغة مددت يدى بين الأيدى المرفوعة قابضاً على قطعة معدنية تنظر إليها معدتى فى ترقب وأمل. أخيرا استطعت أن أتقدم خطوات الى الأمام لأرى صاحب المخبز وقد تكوم على كرسى من أربعة أرجل من الخيزران على باب الفرن. ملوحا بيديه للعمال مسرور القسمات كلما نظر الى هذا الشريط المتموج من البشر. هنا تكمن نرجسيته إنه يحب أن يتطلع إليه

الناس وينادوه. كان منظره مقززاً بشاربه الذى يشبه شارب قط ماكر أما بطنه فقد كانت إلى جانبه كقربة صغيرة مدورة بدت وكأنها منفصلة عن باقى جسمه.

همس أحدهم فى الصف:

- إنه يأكل أجولة الدقيق بالليل علشان كده بطنه..

هنا طفا إلى ذاكرتي فى سرعة البرق ما قاله لى كمون فى جلستنا على القهوة .

أخيرا حصلت أنا على خمسة أرغفة؛ أخذت طريقى الى البيت وبحركة غريزية بدأت يدى تطعم معدتى بواحد منها، فلم ألقى بالا لنظرات الناس بل كان كل همى أن اقضى على جوعى تماما. عندما وصلت بدأ عقلى يعمل هل ترى حقا ضبش يأكل أجولة الدقيق.؟ الفئران تفعلها.

قال كمون:

- « فئران إيه يا سيدنا الأفندى الفئران تأكل حتى تسد جوعها فقط. إنما ده كل يو م يزداد جشعه.

كنت كل يوم أسافر فى ذلك الصف الملتوى كأفعى، أتأمل فى وجوه الناس، وقد بدت كالحة يتقاطر منها عرق الفقر. أناضل حتى أحصل على أرغفتى الخمسة وأنظر الى بطن المعلم ضبش زادت حيرتى حين رأيته تضخم بشكل مرعب. وكان الناس ينظرون اليه فى دهشة. حتى أنه يمكن أن ينادى بالمعلم « الكرش».

فى المساء، قال لى كمون فى يأس :

« لقد اصبح أكثر شراهة اليوم لم نخبز سوى جوال واحد. تجمهر الناس غاضبين. وانصرفو وهم يقولون :

- « منّك لله ياضبش»

فى الصباح دوى انفجار سمعه كل من فى الحى. وحمل الهواء رائحة نتنة أذكمت الأنوف. والغريب أن الكل عرف السبب وبدأت أسمع عبارات

ـ « قوت الناس أخذه ووضعه فى بطنه، خليه ينفعه. »

ـ « ربنا كبير يمهلْ.. ولا يهملْ. »

أصابنى الذهول وانا أتخيل المعلم ضبش وقد انفجرت عنه بطنه !

قلت لنفسى مشفقاً لما لانتعلم من الفئران ألا ..

البيت

أقف أمام الصورة، أتأملها.. أتأمّل الملامح التي كم أحببتها. أخذني الحنين؛ أسرعت وتناولتها، جلست متكئاً إلى الوراء تعيدني خواطري فيما يشبه الحلم، إلى اللحظات الأخيرة قبيْل وفاتها :

- كيف أنت ياجدّتي؟

كان أبى قد أعدّ لها غرفة خاصة، بها مروحة وتلفاز. لكنها ظلت تحكى لى عن مملكتها التي تغيرت بشيء طارىء غريب.. بيتها القديم منذ دخولها إياه، ذكرياتها الحلوة التي مرت بها، والتي توقن تماما أنها لن تعود؛ لكنها تعيش بداخلها.. شونة التّبن ومواشينا كيف كانت تنظف المكان، تمسك مرابطها وتقول:

.« هذه مرابط الخير بدارنا».

الفرن البلدي وما كانت تصنع بها من أشهى الأطعمة. أروقة البيت الثلاث والبسطة والكانون وكيف كانت تنضج به الشاي المغلي اللذيذ والوابور الكبْس فإذا جنّ الليل فاللمبة نمرة خمسة للطابق الأسفل ونمرة عشرة للأروقة. الفراخ والبط والأوز التي كانت تربيها على سطْح الدار.

حديثها أشجاني وأعادني لسنوات طفولتي الغالية.. إلى فكرة

هدم البيت وإعادة بنائه من جديد؛ التي رفضها جدي في شيء من الإحتجاج والغضب :

- طوب أحمر، أسمنت وحديد.. هذا اسمه جلْب للأمراض وليس بناء بيت. عندما يواريني الثرى افعل ما بدا لك..

وأنهى حديثه قائلا: « انتهى الكلام في الموضوع» لملم شاله وأصلح عمامته ثم توكأ على عصاه وغادر إلى المسجد بعد سماع صوت الأذان يتردد. ولما قضيت الصلاة، بقىّ أبي جالساً على المصطبة يفكّر.. وكنت ألعب في التراب تحت النخلة، وعلى امتداد الأفق كانت الغيطان رابضه في هدوء وسكينة وما لبثت أن صحت:

- أبي لا تهدم البيت.

قام فزعا ونهرني. فأسرعت ولذت بجدتي.

. قد يكون والدك محقا فى كلامه يا بنى . يريد الوسع . لكن هذا البيت صحيح هو من الطوب اللبن. سقفه من جريد النخيل والطين وذوثلاثة أروقة فقط لكنه يدفئنا فى الشتاء، ويدخل علينا نسيم الهواء الجميل في الصيف. يعطينا الصحة والبساطة؛ إنه كالصندوق النفيس يحوي ذكرياتنا سر سعادتنا.

كانت الشمس تميل للغروب، أقف في ذهول، ودموعى تنثال بغزارة.. كانوا يوارون

جدي الثرى، وأبي يقف وسط الصف واجما يتقبل العزاء. لم أصدق أن جدي مات ، فقلت:

. إنه يعيش تحت الأرض وسوف يعود. لكن لم تلبث جدتي أن قضت على أملي:

.لا ياولدي؛ ذهب عند رب كريم، لن يعود.

الأيام تمر.. يحضر أبي الطوب، الأسمنت والحديد، ثم يهدم البيت فتتلاشى معه سعادتنا. ابتنينا بيتا متعدد الطوابق؛ كل طابق شقة بها حمام ومطبخ، ثلاثة غرف وشرفة كان البيت نظيفا واستنفذ أموالا طائلة تكفّل أخي الأكبر المغترب في دول الخليج والأوسط في ليبيا بمعظمها.

لكن أول الشاكين كانت جدتي، فعندما جاء الصيف صار المنزل يخزّن الحراة والصهد

أتى لها أبي بمروحة فقالت:

- إنها تفتّت جسمي وتجعله مخزنا للأمراض.

وحين أتى الشتاء كانت أجسادنا داخل البيت تعوي من الصقيع، فكرنا فى المدفأة الكهربائية لها فقالت :

- عظم ذرة الشامي الذي كنا نوقده فى المجمرة ولا يكلف مليما.. أين هو؟

عزفت عن التلفزيون أيضا وأضحى الراديو مؤنسها الوحيد.

استيقظت من حلم يقظتى و اعتدلت بجلستي وأنا أغالب دموعي..

مسحت ما علق بالصورة من تراب.. وذكريات بيتنا القديم كان عبقها لا يزال يملأ جوانحي.

اللّيلْة الأخيرة

شهريار مشرئب لسماع الحكايا؛ تنثر شهرزاد القراطيس، الأحبار والأقلام حولها، تهم:

« بلغني أيها الملك السعيد ..» لكن لسانها ينعقد فجأة عن الكلام .. يأخذها عقلها فيما

يشبه الحلم، تتمثل لها لياليها كاملة بالليلة بعد الألف الأخيرة وحكاياتها كأنها هباء تذروها الريح، يأتيها صوت من بعيد يائس حزين:

ـ أن لا فائدة ..ها أنت تقصين الحكايات والسيف يحصد الأطفال، عذابات البشر حبل لا ينقطع انظري : المشردون في الخيام والراحلون عن الوطن إلى مدن الأوهام.

لملمي أوراقك وارحلي فالزمان ليس هو الزمان ياشهرزاد إنه زمان القهر والمدن المستباحة.

وهنا تستيقظ عيناها تحاول أن تلملم الأوراق، لكنها ترمق السيف متقلدا به مسرور فتتابع:

« ذو الرأى الرشيد أنّ ...» إلى أن يحين الفجر فيأخذ شهريار النوم وفى آن اللحظة كان الديك يشق عباب الهواء ويصيح :

ـ « آن لنا بعد ألف ليلة وليلة الرحيل «

بينما شهرزاد عالقة وحكاياتها بجناحيه.

رسالة

أبي؛ رسالتي لن تكون الأخيرة.. لأخبرك بكل ما هوى جديد عني حسب رغبتك. اليوم، كنت وأصدقائي يدا واحدة، حيث قمنا بطرد هذا الولد، ذى النظارة الكريهة. كم هو متخلف. إنه لا يكف عن القراءة ومذاكرة الدروس، دائما ما نجده بمكتبة المدرسة، كنا نسخر منه واعطيناه اللقب العلمي « دودة الكتب.»

لقد قررنا أن نطرده من امتحانات السنة النهائية. تصور ياأبي لقد اعترض علي الغش رغم تساهل القائم على الامتحان. أمسكنا بتلابيبه، أمرناه ألا ينطق بكلمة واحدة. كان مذعورا لكننا تخلصنا منه بسرعة. ألقيناه من نافذة الفصل لا تخف.. كنا بالدور الأول، لم يحدث له مكروه. كسرت نظارته فقط. انه مثل القطط بسبعة أرواح.

أبي: إذا نجحت وحصلت على الدرجات النهائية ، وأنا متأكد من ذلك، هل سترسل لي أحدث هاتف نقال كما وعدت.

لكن أصارحك أنني غير متأكد من أن الشهادة التي سأحصل عليها سيكون لها طعم أو لون أو رائحة. على كل أرسل الهاتف وسأوافيك بكل جديد.

ابنك المخلص في طلب العلم

أمْـر

صرخ ملك الغربان المتوج في جموع رعاياه :

ـ اثبتوا لبنى البشر أننا أمة مثل كل المخلوقات: نسعد ونحزن، نأكل ونشرب، اثبتوا لهم أن الشؤم نابع من أنفسهم، لسنا غربان شؤم كما يقولون. طيروا أسرابا.. انشروا البهجة وليصدرن من حناجركم صوت يطرب الآذان ويمتع العقول. وإياكم أن تصدروا صوت نعيق.

طارت الغربان في ثقة تنفيذا لأمر الملك، بشكل جعل الناظر لها يشعر سرورا في النفس ..

وانبعثت منها أصوات تمايل لها نخيل الوادي طرباً. لكنْ ما إن ظهر في دائرة رؤيتها جيفة حقيرة حتى اختطفت من قيد اللحظة.. وجعلت تحوم حولها مصدرة أصوات نعيق مفزع، وأخذت تحط على الأرض وتتقاتل..وعلى مقربة منها ولّى مزارع عجوز يعمل فى حقله هارباً

وأخذ يردد :

غربان شؤم ... غربان بيْن.

داء

جرَبْتُ كُلَ الحيلْ.. حتى لا يصيبني هذا المرض الخطير، والذي حار الأطباء في تشخيصه دُون جدوى.ما حدث بالضبط؛ أنَ الصباح حين أسْفر وجد المدينة كُلها، لا ترى أبعد من دائرة من المرايا، قطْرها سنتيمترات قليلة جداَ، بحيث لا يستطيع أي فرد أن يبصر سوى نفسه فقط. كان الأفق حزيناً ملوناً باللون الرمادي الدَاكنْ، يستمع في صمت إلى الترنيمة الأخيرة.. عن ضياع المدينة. على الفور، تقمصت أنا الشارة البيضاء، وبدأت أصف الدواء عن..

كيفية تحطيم تلك الدوائر.؟ وأنَ الأغنياء قريبا سيبْصرون الفقراء. ستباهى المدينة بنظافتها. سيعيش القطط والفئران في وئام، فالمدينة تسع الجميع.

و.....

و.....

امتدت يداي كي تحطم تلك الدوائر؛ وعلى حين غرة تلألأ المال لعيني برَقاَ وانبعث فيه وميض السَحر .. دُهشْت حين وجدَتُني أصاب بنفس المرض.!

ضد مجهول

- خيراً

نطق العمدة بتلك الكلمة ملقيا بها في وجه الغفير النظامي،الذي اقتحم عليه خلوته، وطعام الغداء تواً قد وضع له. مداريا حنقه وغيظه ومواصلا فى نفس الوقت التهام شرائح اللانشون بشراهة غير معهودة على من هم فى مثل سنه.

فى صمت وصبر،على الروائح التى تتجاذب حواس الشم والتذوق لديه ناوله الغفير ورقة متعرقة مطوية. بسطها العمدة بيديه وبالكاد أخذ يقرأ ويفسر:

« أولاد البلد استبدلوا بنطلونات الجينز بالجلابيب قلنا معلش موضة .. لكن ليس من الموضة مياه الترعة تتلوث بأكياس البلاستيك والزبالة والبهائم الميتة. كفاية بنصرف قاذوراتنا الآدمية في النيل نفسه و..... نرجو التحقيق فى هذه الجريمة ياحضرة العمدة .»

. أكيد إياه اللعملى فيها مثقف مدرس العلوم بالمدرسة الابتدائية.

. اذهب ياغفير بالزبالة، دى أكياس اللانشون اللذيذ. ماركة جديدة من أمريكا، فى الترعة و ألقيها.

.بالهنا والشفا ياعمدة.

. إن صادفك المذكور، صاحب الشكوى أخبره أن حضرة العمدة بت فى شكواك. وأن الجريمة التي ذكرت قيّدت ضد مجهول لتعذر إثبات التهم ضد الجاني. وأقفل التحقيق وأمهر بالتوقيع المعروف.

« العمدة» .

غـربة

العجوز يصعد الحافلة بتؤدة ووقار، بيده حقيبة، يحيط بها الغموض..خاصة وأنها بدت منتفخة بعض الشيء؛ حتى أنها جذبت بعض العيون، ذات الأغراض الخفية. خيّل إليّ أيضا أنه ابتاع تذكرة من الكمساري. ارتمى على أقرب مقعد، كان الوحيد الفارغ بعد أن تركه ولد صغير احتراما له. في غيْر ذلك ضج الركاب من الزحام. هو الآن غيْر عابئ بما حوله فقد قام بفتح تلك الحقيبة الحاوية لكل ثمين.. على الأقل بالنسبة له. أخرج جميع الكتب التي بداخلها، اختار منها واحدا، لبس نظارة القراءة وغرق في عالم آخر..

العيون المتلصصة امتنعت الآن.. عندما وصلت الحافلة لمحطتها الأخيرة، كانت خاوية من الركاب. الشيء المحتمل أنه لم يكن هناك عجوز بالمرة، لكن من المؤكد أن ثمة حقيبة قد تركت هناك وحيدة.

فأس ومسبحة

تساءلت الحقول عن سر غيبته.. افتقده الطريق، وقد كان يحث الخطى لصلاة الفجر.

أما الزاوية التي هناك في المسجد، تشتكى الآن فراغا كان يملأه بالتسبيح بعد الصلاة، حتى قبيل الشروق. حملته الجموع المحبة كي يوسدوه القبر؛ أبيا إلا أن يكونا بجانبه، الفأس والمسبحة.

إحتفاء

الآن جمعتهم الحفلة.. فعصاه التى بالحبّ كان يهش بها على غنمه، جعلته يتربع على عرش قلوبهم.أعدوا له هدية تليق بحنكته وحكمته. كاد الإنتظار يسمح لدبيب اليأس أن يتسرب إلى نفوسهم. لكن أخيرا طالعتهم عصاه التى بها فجّرينابيع النماء بنفوسهم، اختزل بها الخير فأدبر عنها الشر. كان متأبطا إياها وفى فرحة غامرة قاموا قومة رجل واحد اختطفوها وأخذوا يهتفون ويغنون له، لكن يمناه أعادتها اليه، فحل صمت مطبق ترقبا.. لم يلبث أن رسمت شفتاه ابتسامة وبدد الصمت:

- لى فيها مآرب أخرى.

قلوب مبْعدة..

في أوج فرحة العيد: وحدها اللعبة جلست، حزينة جلست. وقد فارقتها أترابها من اللعب

كي يدخلن البهجة والحبور على قلوب الأطفال. وحده الطفل يتأمل اللعبة وقف،

من وراء الحاجز الزجاجي حزينا وقف. كان يرمقها بعيون الإعجاب واللهفة تواقا للفرحة والعيد طال انتظاره كان كل طفل يأخذ لعبته وينظرلوالديه بعين الامتنان. احتارت نظراته في يأس بين اللعبة وبين من سوف يأتي ليمسح على رأسه.. استدار الطفل فى خيبة مغادرا .

اللعبة انسابت منها الدموع .. تتخاطفها أيدى الوحدة.

معلمي

ألقيت بنفسي بين دفتيه.. احتواني حضنه الدافئ، اشتممت روائح عبق الأزمان كلها وبأنامل حروفه الرقيقة، مسح على عقلي. أنار غياهب من ظلمات الليل بدروبه وأبصرت الحقيقة من كل الزوايا. حين أطلقني من سجني الذي ظلت أقبع فيه ممنوعا من الحركة، للفضاء الواسع؛ صرخ في فراغ صمتي:

.كن إنسانا أينما تكون.

حلم مستحيل

بعد أن حفرنا له بئرا عميقة، ظل الشيخ يقرأ ويعزّم، دون جدوى.

أمرْ:

ـ احفروا أكثروأخرجوا المياه.

كاد البيت يقع علينا.. بعت كل ما أملك حتي أصبحت « يامولاى كما خلقتني. «

أمل الغنى ظل يداعب خيالى وأبدا لم يتركني. جارى « الحيط فى الحيط» باع قطعة وحيدة بملايين، فى لحظة أصبح من الأثرياء ويمتلك أبراجا شاهقة.

كما قلت لك:

ظل الشيخ يقرأ ويصيح..

ـ اللقية على بعد أمتار.. نحفر.

ـ باقي نصف متر.. نحفر.

ـ نحتاج بخور أعطيه بالآلاف ..

هل تصدق أن الشيخ « فص ملح وداب.»

تساءل

في الجانب الآخر من الأبيض المتوسط، و في غرفته الفاخرة بالفندق، جلس دافيد يرتشف قهوة الصباح. أخذ يتأمل تلك القطعة الفرعونية النادرة التي وصلته بالأمس. كانت غاية في الجمال والأصالة. ردد لنفسه في سخرية مقيته:

- عجبا للنقود تفعل الأعاجيب.. حتى أنها تفرغ بلدا من حضارته وتراثه. لكن هل لو امتلكنا بنقودنا تلك القطع، نصبح أصحاب حضارة نحن أبناء صهيون.؟

مسافر

في سفره لا يعرف متى صعد إلى القطار؟ ولا متى ينزل منه ؟ في أي محطة سيكون نهاية سفره ؟ الشيء المؤكد أنه مازال مسافراً.. ومن نافذة قطاره يرى الحياة بكل تناقضاتها؛ مواضع فرحه، مواضع ألمه، مراتع الصبا.. ها هو من خلف النافذة يضع يده على خده، يرنوا بعينيه؛

ينتظر..

سطوة

مذ دخلت بيتنا، غادرته الحرية، مكثت للحظة أتأملها.. كان صوتها هو الأعلى، وبها تدار شئون البيت،لا يراجع، ولا يناقش من يمسك بها؛ يصبح الصوت صوته، الرأي رأيه، نفعل كلنا فعله. حين علا صوتي وهى معى. رمقني ابني بعينين لم تخلوا أبدا من العتاب؛ قلت :

- جاء دوري كي أمسك بالهرّاوة .

رسائل

أرسلت من عمق بحار عينيها الجميلتين، رسائل شفافة بلون الورد. خفق قلبه لإشاراتها.
فبدأ بقاربه يأخذ طريقه، كي يرسو على شواطئها.

صراع

ألتقط الورقة الأخيرة من تحت شرفتها، بعد أن أنارها قمر غيري. أفتحها في فضول، يتردد قلبي، يحاول عقلي فك الشفرة.. أتركها تسقط من يدي؛ يحتويها الثرى.

وعْـد

هرولت في عجل؛ كي ألتقى بالتى واعدتني عند النهر. امتلأ عقلي بظنون وأماني.. عن أنها ستأخذني آخر حدود الغيم. ستعطيني القمر كي أحمله للمنزل على كفي. منيرا وجهي فيراني العالم كم سيغيرون منى ويحقدون. لا أبالى. ستجعلني أعانق المستحيل.. و أقرأ أوراق عينيها الجميلتين. حين وصلتْ طالعتني صفحة النهر؛ ما وجدت غير سفن تمرق، تفتح أشرعتها للضوء. دققت النظر في كل الأمم العابرة أبداً ما تعرّف على وجهك ولم أعثر على وطن.

الحقيقة

عيناها الآسرتان.. أسرتْه. ظل يطاردها في كل مكان يمكن أن تتواجد فيه؛ محبرة قلم ، بين السطور، شوارع المدينة، الحدائق، القطارات الراحلة مدّ البصر، غروب الشمس، نجوم الليل البعيدة، قلوب البشر و ..... ملّت من مطاردته إياها فقررت المواجهة. رقص قلبه فرحا، تلاشى فيها.. ذات صباح وجدت جثته على شاطئ محيط.

يأس

تبع حلمه أينما اتّجه.. ظل يحلق دون جدوى، كان الأفق مسدود بغيوم سوداء ورؤيا عينيه كانت ضبابية، تتابعت أنفاس جسده المتعب، سئم من واقعه المعاش كونه عصيّ على الأحلام حسم أمره؛ استيقظ.

الأصدقاء

يستدعى الموتى.. يهمسون هم اليه :

- هلم إلينا فنحن بهجة الحياة.

يتلمسهم كتبا على الرفوف؛ ينادمهم، يتبادل معهم النكات ويتبسم، يعيش أعمارا وأعمار.

يستخلص عصارة تجاربهم ويسافر عبر الزمن.. عندما يرنو التعب ويلوح الفجر؛ يلملم أوراقه والأقلام فيرحلون.

إمتزاج

تناولتها أنامله من العلبة الفاخرة، أشعلها؛ أخذ صدره يعلوا ويهبط متناوباً عمليتي الشهيق والزفير. لمحت عيناه عبارة « التدخين يدمر الصحة ويسبب الوفاة.» في عدم اهتمام احتضنت روحه السيجارة المشتعلة، تأملها وهى تفنى رويدا رويدا.. حتى إسْتسْلما للعدم.

استباق

من بين أنامل يدها الرقيقة الممتدة إلىّ سقطت الوردة.. انحنيت بسرعة البرق تناولتها، مسحت عنها ما قد يكون قد علق بها. أعطيتها إياها فى لهفة مبتسماً كى تعيد ما كانت تود أن تقوم به.. غير أنها غادرتنى تاركة دمعتان. قرأ قلبي ما كانت تراه عيناي من قلق عليها أن يزورها طائر الفرقة فاندفع خلفها يستبق الريح.

شهادة ميلاد

كدت أسئم من تلك التي أتحايلها، وتخايلني، تذهب ثمّ تأتى. بينما ينتظر قلمي مرتعشا بين أناملي.. يحتار عقلي؛ يقدح زناد فكره يسافر إلى بلاد الخيال كي يأتي بها، تتأبى.. فيسترضيها. لا توافق إلا أن يكون الخلود بديلا لوطنها أن تتركه.

.إذن ستسكنين سطور الأبدية.

الآن احتوتها الغبطة.. لكنها خجلي أتت وحزينة تغادر أرض الخيال. هنا يرقص قلمي طربا يحرر لها شهادة ميلاد.

فوْز

اقتسموا التركة.. فكان بين براثن النسيان. مزّق المرض جسده.. لم يعيدوه للذاكره. لكن حين زاره الموت؛ قبّل الملاك جبهته.

حبات السحر

من أهداب الشمس المضيئة، يجمع حبات أمنياته السحرية. يقدمها لحبيبته على طبق فضي. ترفض ان تنظم منها عقدا يليق فيبذرها في الفضاء اللانهائي. تثمر الحبات ورودا بكل ألوان الطيف. تمد يدها في انبهار تناغيها، تسارع في الذبول ويبقى هو هائما في عبق الأمنيات.

نسيانْ

أمسك بالقلم، أجهد عقله.. لم تنلْ الصفحات البيضاء إلاّ لحظة ألمْ.

مصيرْ

صحبه الإنتقامْ؛ تبارت نفسه في بعث رياح الشر من مكامنها وأشعلت النيران فأتت على الأخضر واليابس.. وأبقته كومة من عظام.

اللّصْ

انفتحت له صفحته الفيسبوكية حين ضغط على زر بلوحة المفاتيح. استعرض الإشعارات.. اختار واحدا منها، ما إن نقره بالماوس؛ حتى خرج جنيّ عظيم الخلقة من حاسوبه، ليسرق عقله وعمره؛ ثم يختفى بانقطاع الكهرباء.

السيرة الذاتية

خالد عبد الرؤوف ماضي
- مواليد ٢٨ يونية ١٩٧٤ - سوهاج - مصر.
- ليسانس الآداب - تاريخ - ١٩٩٦
- دبلوم المكتبات والمعلومات - ٢٠٠٤ - جامعة أسيوط
- موجه مكتبات بالتربية والتعليم.
- يكتب القصة ونشرت أعمال له بمجلة أقلام تصدرعن قصر ثقافة سوهاج.
- ينشر قصصا بجريدة صوت سوهاج .
- شارك في المؤتمر الأول للقصة القصيرة جدا بقصر ثقافة أسيوط.
- يشارك بأعماله في الندوات الأدبية لنادي أدب قصر ثقافة سوهاج.

المحتوى

الإهداء ٣
عودة ٥
في الطريق .. توجد خيارات أخرى ٧
جدار ٩
الشيئ المستحيل ١١
فيض ذكرى ١٣
صحبة ١٥
سيدنا ١٧
دوي السقوط ٢١
اللقية ٢٣
بعيداً الطيور لا تجيد التحليق ٢٧
شكوى ٢٩
الفئران لا تسرق ٣١
البيت ٣٥
الليلة الأخيرة ٣٩
رسالة ٤١
أمر ٤٣
داء ٤٥
ضد مجهول ٤٧
غربة ٤٩
فأس ومسبحة ٥١
احتفاء ٥٣
قلوب مبعدة ٥٥
معلمي ٥٧

المحتـــوى

حلم مستحيل ٥٩
تساءل ٦١
مسافر ٦٣
سطوة ٦٥
رسائل ٦٧
صراع ٦٩
وعد ٧١
الحقيقة ٧٣
يأس ٧٥
الأصدقاء ٧٧
إمتزاج ٧٩
استباق ٨١
شهادة ميلاد ٨٣
فوز ٨٥
حبات السحر ٨٧
نسيان ٨٩
مصير ٩١
اللص ٩٣
السيرة الذاتية للمؤلف ٩٤

ماســـتر©